## وفاة الوليد بن عبد الملك

توفي الوليد لأربع عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سنة (٩٦هـ) وهو ابن خمسين سنة وولي عشر سنين تقريباً بدير مران وحُمل ودُفن بدمشق، وتولى بعده أخيه سليمان بن عبد الملك بعدما حاول الوليد عزله وتنصيب ولده عبد العزيز لكن المنية عاجلته، وأخذ عمر بن عبد العزيز البيعة لسليمان وهو في الرملة من فلسطين فعاد الى دمشق خليفة عليها.

## خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ / ٧١٥-٧١٧م)

بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه الوليد في جمادي الآخرة سنة (٩٦هـ) وما أن استلم الحكم حتى نكل بآل الحجاج تنكيلاً فظيعاً وعهد بتعذيبهم الى المُهلب، وعزل جميع عمّال الحجاج، ومن هؤلاء محمد بن القاسم في الهند وقتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر وموسى بن نصير الذي استعجل وقدم من الأندلس الى دمشق.

وأطلق في يوم واحد من سجن الحجاج إحدى وثمانين ألفاً، ووجد في السجن ثلاثين ألفاً ممن لا ذنب لهم وثلاثين ألف امرأة، وكانت هذه من مآثره وألطافه على الناس، وقد استكمل بناء المسجد الجامع الذي بناه الوليد لكنه كان مجحفاً أشد الإجحاف في جباية الخراج، فقد كتب الى عامله على مصر اسامة بن زيد التنوخي رسالة جاء فيها: (احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم)، وقدم عليه اسامة بما جباه من الخراج وقال له: (إني ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت فإن رأيت ان ترفق بها وترفه عليها)، فصاح به سليمان: (هبلتك امك احلب الدر، فإذا انقطع فاحلب الدم)[1].

وكان شديد الإعجاب بنفسه، اشتهر بالفصاحة، وكان مغرماً بالطعام والنساء وقد دب الترف والبذخ في البلاط الأموي في عهده وتسرب اليه الفساد وتعدت هذه الرذائل الى الولاة والأمراء.

## اما أبرز أحداث عصره فهي:

### ١- محاولة فتح القسطنطينية:

أغار الروم على اللاذقية من نواحي حمص فذهبوا بما فيها ثم احرقوا، فانتدب سليمان أخاه مسلمة بن عبد الملك وأمره ان يقصد القسطنطينية حتى يفتحها ورابط هو في مرج دابق على بعد أربعة فراسخ من حلب، وبعد حروب كثيرة انتصر فيها مسلمة حتى وصل الى أسوار القسطنطينية وأقام عليها شهوراً طويلة حتى زرع وأكل مما زرع وأصاب المسلمين من جراء ذلك برد وجوع وفتكت النار الإغريقية بسفن المسلمين ونفذت أقواتهم لكنهم لم ينسحبوا منها حتى بعد وفاة

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٣.

سليمان، فأعادهم عمر بن عبد العزيز خليفته من بعده وعادت الحملة تجر ذيل الخيبة، كما اخفقت الحملة التي سبقتها في عهد معاوية[١].

سياسة سليمان بن عبد الملك الخارجية

**أ-جبهة المشرق**

الملاحظ في حكم سليمان بن عبد الملك انه لم تحدث هناك فتوحات في المشرق ويمكن ارجاع السبب في ذلك الى عدة عوامل واسباب وهي :

١-طبيعة الظروف السياسية التي مرت بها الدولة الاموية في تلك الفترة ولاسيما بعد عام (٩٨هـ) وحتى سقوط الدولة الأموية عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) حيث انشغلت باخماد الحركات التي بدأت تهب في وجهها من جددي مثل حركة الخوارج وحركة يزيد بن المهلب[٢].

٢-تجدد الخلافات بين العرب وسكان خرسان والتي استغلها العباسيون فيما بعد لصالحهم ، حيث بدأت منذ ذلك الوقت دعوتهم السرية.

٣-النزاعات الداخلية وكثرة العناصر على السلطة بين افراد البيت الأموي مما اضعف هيبة الدولة وجعلها تنشغل بمشاكلها الداخلية على حساب التوسع في الشرق.

٤-فضلاً عن الاسباب السابقة الذكر ، فأن هذه البلاد الشرقية التي فتحها المسلمون لم تكف عن التمرد والعصيان واشعال نار الثورات حتى اضحى جهد الخلفاء والولاة منصباً على اخضاع الثائرين والمحافظة على المكتسبات التي تحققت في السابق ولاسيما في عهد الوليد[٣].

**ب-الجبهة البيزنطية**

كان الحديث المهم الذي شهد عهد سليمان بن عبد الملك هو عملية حصار القسطنطينية ، حيث ارسل عدة حملات لغزو اراضي البيزنطيين في مناطق الحدود في آسيا الصغرى وعلى الطرق المؤدية اليها بهدف الهاء السلطات البيزنطية والتمويه عن الهدف الرئيسي وهو الوصول الى الهدف الحقيقي وهي القسطنطينية[٤].

---

(١) أبن الثير ، الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٠٢.

(٣) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٠٤-٢٠٥

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٣.

وقد مهد سليمان بن عبد الملك لحملته هذه بغزوه بحرية بقيادة عمر بن حبيرة الفزاري ،واشرف الخليفة بنفسه على استعدادات الحملة واختيار لقيادتها اخاه مسلمة بن عبد الملك ،وتجهز مسلمة بكافة الاحتياجات التي تكفل النجاح لحملته من حيث المؤن والاخشاب اللازمة لاقامة بيوت تقي المسلمين برد الشتاء.

وقد حشد سليمان تحت قيادته حوالي ١٨٠ الف جندي جمعها من اهل الشام والجزيرة والموصل فضلاً عن ١٨٠٠ قطعة بحرية[١].

وصل الجيش الاسلامي الى ثغر الاناضول ومن ثم الى عمورية وحاصرها وعندما علم ليو قائد الثغر بنويا المسلمين أبدى استعداده للتعاون معهم ،وكان يتطلع الى انتزاع العرش الامبراطوري ، فاتفق مع مسلمة على خطة تتيح للمسلمين فتح القسطينية وترفعه الى العرش .

لذلك واصل المسلمون تقدمهم دون اية مقاومة جدية ،واصبحت هذه المنطقة مفتوحة امامهم ،وفي هذه الاثناء حصلت تطورات داخلية مهمة في بيزنطة تمكن خلالها ليو الأيسوري من ارتقاء العرش فتنكر لأتفاقية السلام التي عقدها مع مسلمة ، فخدع المسلمين وتحايل على تجريدهم من قوتهم واقواتهم.

ولم يلبث ان وصل المسلمون الى اسوار القسطنطينية وحاصروها من جهة البر وفي نفس الوقت تحرك الأسطول الاسلامي الضخم باتجاه الدردنيل وبحر مرمرة وحاصر المدينة من جهة البحر وبذلك تعرضت القسطنطينية لحصار من البر والبحر.

واراد مسلمة اقتحام المدينة عنوة ونصب عليها المجانيق الضخمة ولكنه فشل في اقتحامها بسبب مناعة اسوارها فضلاً عن ذلك جاءت رياح عاتيه حطمت سفن المسلمين فانتهز البيزنطيون هذه الفرصة واحرقوا اعداداً منها بالنار الاغريقية ورغم ذلك استمر المسلمون يحكمون الحصار على المدينة وطالت امد الحرب ، غير ان هذا الحصار والمرابطة لم تفلح في اختراق المدينة .

ويمكن اجمال سبب فشل الحصار على القسطنطينية الى عدة اسباب منها :

١. عجز المسلمون عن تطويق الجبهة الشمالية للعاصمة البيزنطية مما مكنها من الاتصال بسواحل البحر الأسود في الوقت الذي اخذت فيه المؤن لدى المسلمين بالتناقص بعد فشل وصول الامدادات من الشام.
٢. طبيعة الظروف المناخية القاسية والبرد الشديد فضلاً عن صعوبة طوبورغرفية المنطقة بالنسبة للعرب المسلمين.

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٤.

٣. مهاجمة البلغار للمسلمين ولاسيما من الجانب الأوربي بالاتفاق مع ليو الثالث وتغلبهم على القائد عمر بن هبيرة الامر الذي ادى الى ابعادهم عن العاصمة.

٤. فتك النار الاغريقية التى استعملها البيزنطيون والتى احدثت اضراراً جسيمة جداً بالسفن الاسلامية.

٥. تواطئ البحارة المسيحين اذلي يعملون في الاسطول الاسلامي مع البيزنطيين بعد ان نجح ليو الثالث في تحريضهم على العصيان فضلاً عن نفاذ القوات وطول امد الحصار الذي استمر على ما يزيد من سنة.

٦. فضلاً عن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك اثناء الحصار واعتلاء عمر بن عبد العزيز للحكم ،والذي لم يكن يميل الى مواصلة سياسية الفتوح لما تكلفه من ارواح ونفقات[١].

كل هذه الاسباب السابقة الذكر دفعت الحاكم الجديد عمر بن عبد العزيز الى ارسال كتاب الى مسلمة بن عبد الملك يأمره بفك الحصار عن القسطنطينية والعودة الى الشام . وتم ذلك اي رفع الحصار في ذي الحجة من سنة ٩٩هـ ،وقام ما تبقى من الاسطول بنقل الجيش البري الى آسيا الصغرى غير ان هذا الجيش تعرض لعاصفة اثناء عبوره الأرخبيل فتشتت السفن وهاجمها البزنطيون ولم يتج منها سوى عدد قليل جداً .وكانت هذه هي المحاولة الأخيرة التي قام بها الأمويون لفتح القسطنطينية[٢].

## ٢- بدايات الدعوة العباسية.

قدم الى دمشق أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سنة (٩٧هـ) على سليمان فقضى حوائجه وحوائج من معه واجازه وعاد على بلاد فلسطين، وفي الطريق بعث سليمان الى لخم وجذام لبناً مسموماً ليسقوه أبا هاشم وكانه ظن به ظنوناً، فلما مر بهم أبو هاشم سقوه ذلك اللبن فلما أحس بالسم أمر من معه ان يعرّجوا به على الحميمة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس القاطن فيها، فلما وصل اليه سلمه وصية كانت معه فيها أسماء الدُعاة المعتمدين لديه في خراسان لأن كان لديه تنظيماً سرياً الغرض منه الإطاحة بالدولة الأموية وأخبره بأن الأمر صائر اليه والى أولاده من بعده كما سمعها من ابيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأوصاه ببعض الوصايا وأنبأه بكل ما يتعلق بالدُعاة وكيفية التحرك ومات بعد ان دفع اليه بالكتاب، وكان اهل خراسان يعتقدون بإمامة ابو هاشم هذا بوصية من ابيه محمد بن الحنفية وهو بدوره أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله الذي أوصى الى ابراهيم الإمام، وهكذا انتقلت الخلافة الى بني العباس بهذه

(١) رشيد الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الأموي ،ص١١٥.

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٣٣١.

الجهة من الوصية وسيأتي لاحقاً ان ابراهيم الامام أوصى الى أخيه أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس[1].

## وفاة سليمان بن عبد الملك

مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر سنة (٩٩هـ) وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وعهد من بعده الى ابن عمه عمر بن عبد العزيز والى اخيه يزيد بن عبد الملك من بعده[2].

## خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م)

تقلد الخلافة عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان بن عبد الملك ،ولمس الناس في عهده القصير الأمن والرفاه بشكل نسبي ،ولد في مصر عندما كان ابوه عبد العزيز بن مروان وآل عليها وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وقد ساس المسلمين سياسة لم يألفوها من قبله.

أما أهم إنجازاته التي ميزته عن سائر الحكم الأمويين فيمكن تلخيصها فيما يلي :

### ١-ترك سب الامام علي " ع" ولعنه

أدرك عمر بن عبد العزيز إن السياسة التي انتهجها آباؤه ضد الامام " ع " لم تكن حكيمه ولا رشيده فقد جرت للأمويين الكثير من المشاكل والمصاعب فعزم على محو هذه الخطيئة فأصدر أوامره الى جميع أنحاء العالم الاسلامي بترك سب الامام علي "ع" ولعنه وأن يقرأ عوضاً عنه قوله تعالى: (( أن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)) و ((ربنا أغفر لنا لاخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين أمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم )) ،ولقد علل عمر نفسه السبب في ذلك من أنه كان يرى أباه وهو الخطيب المفوه حينما ينال من علي يتلجلج ويتلعثم ولما سأله عن السبب قال له : (( يا بني أن الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم تفرقوا عنا الى اولاده)[3].

### ٢-صلته للعلويين

أجزل عمر العطاء للعلويين خلاف ما كان عليه من سبقه من بني أمية وأمر عامله على المدينة أن يقسم في أولاد علي مبلغ عشرة الاف دينار وكانت هذه أول صلة تصلهم أيام الحكم الأموي ، وقيل : أنه حمل من بيت المال سبعين حملاً من الذهب والفضة والعين من مال الخمس فردها الى

---

(١) ثابت أسماعيل الراوي ، الدولة العباسية ، ص١١٥ ، فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص١٠٠.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٠٢.

(٣) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٣-١٠٤.

بني هاشم وسلمها الى محمد بن علي بن الحسين (ع) وعبد الله بن الحسن(ع) فأستغنى بنو هاشم في تلك السنين وحسنت أحوالهم [1].

### ٣-رد فدك

رد عمر فدكا للعلويين بعد أن صودرت منهم وقال في محضر من قريش ووجوه الناس :- (( أن فدكاً كانت بيد رسول الله " ص" فكان يضعها حيث أراه الله ، ثم وليها أبو بكر ثم عمر ثم أقطعها عثمان لمروان ثم أنها صارت الي وأني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (ص) .

### ٤-رد المظالم

لما أفضت إليه الخلافة أخرج بمحضر من الناس سجلات عبد الملك بكثير من الاملاك وقال : (( هذه كتبت من غير أصل شرعي ، فأنا أعيدها الى بيت المال) ثم مزقها لمحضرهم وبدأ بأملاك أبيه عبد العزيز. ورغم جميع مأثره فقد وجهت لعمر بعض المؤاخذات منها :

١. انه أقر القطائع التي أقطعها من سبقه من أهل بيته ،وهي من دون شك كانت بغير وجه مشروع.
٢. أن عماله وولاته على الاقطار الاسلامية قد جهدوا في ظلم الناس وابتزاز أموالهم .
٣. أنه أقر العطاء الذي كان للأشراف ، فلم يغيره في حين أنه كان يتنافى مع المبادئ الاسلامية التي ألغت التمايز بين المسلمين.
٤. أنه زاد في عطاء أهل الشام عشرة دنانير ولم يفعل ذلك في أهل العراق.
٥. وكان من أعظم الناس قولاً بالجبر ويبدو ذلك واضحاً أنه لما مرض قيل له : لو تداويت ؟ فقال : لقد علمت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي أن أمسح شحمة اذني ما فعلت [2].

### وفاته

تذكر المصادر التاريخية أنه سقي السم من قبل الأمويين لأنهم علموا أنه أن أمتدت أيامه فسوف يخرج الامر منهم (الامويين) وتوفي في دير سمعان من أعمال حمص يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة (١٠١) هجري وله تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر [3].

---

(١) الطبرسي ، اعلام الورى ، ص٣٣.
(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٣.
(٣) الطبرسي ، أعلام الورى ، ص٩٣ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣١٥.

## دور الإمام محمد بن علي الباقر (ع):

هو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت الأطهار، ولدَ من أبوين علويين طاهرين فاجتمعت فيه خصال جدّيهِ السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام)، أمهُ السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن (عليه السلام) وتُكنى بأُم عبد الله وكان الإمام السجّاد الحسن (عليه السلام) يسميها الصدّيقة.

ولدَ الإمام الباقر الحسن (عليه السلام) في المدينة المنورة في الثالث من شهر صَفر سنة (٥٦) هجري وقيل في غُرّة رجب يوم الجمعة سنة (٥٧) هجري، وكانت ولادتهُ في عهد معاوية والبلاد الإسلامية تعجُّ بالظلم والخطوب والإرهاب وعانى من ظلم الأمويين حتّى شهادتهِ، ما عدا فترة خلافة عمر بن عبد العزيز وهي فترة قصيرة جداً، فعاصر أشد أدوار الظلم الأموي حتى أستُشهِد على يد طاغية عصرهِ (هشام بن عبد الملك) لكنه استطاع أن يربي أعداداً كثيرة من الفقهاء والعلماء والمُفسرين حيث قصدهُ المسلمون من شتّى بقاع العالم الإسلامي بعد أن دانوا لهُ بالفضل. ولم يكن الإمام (عليه السلام) منعزلاً عن أحداث الساحة الإسلامية وإنما ساهم بشكلٍ إيجابي في نوعية وتحريك الجماهير وسعى لرفع شأنها وإحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي فكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصرهُ والأجيال التي تلتهُ[1].

## الإمام الباقر (ع) وعمر بن عبد العزيز:

كانت للإمام محمد الباقر (عليه السلام) عدّة مواقف مع الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز منها: تنبؤ الإمام بخلافة عمر، فعن أبي بصير قال:- كنتُ مع الإمام أبي جعفر في المسجد فدخل عمر بن عبد العزيز، فقال (عليه السلام): ((ليلينَّ هذا الغُلام فيُظهِر العدل، إلا أنه قدح في ولايتهِ من جهة ووجود من هو أولى منه بالحكم)).

ومنها: وصاياهُ لعمر حين استلم الخلافة: طلب عمر الامام وأرسل خلفه فاستجاب الإمام لهُ وسافر الى دمشق فأستقبلهُ عمر استقبالاً رائعاً، وبقيَ في ضياقتهِ أياماً وجرت بينهما أحاديث وحين أراد الإمام الوداع قال له عمر: أوصني، فقال الإمام (عليه السلام) : ((أوصيك بتقوى الله، وإتخذ الكبير أباً والصغير ولداً والرجلَ أخاً ...)). وبُهِرَ عمر بوصية الإمام وقال: ((جمعتَ لنا والله ما أن آخذنا به، وأماتنا الله عليه أستقام لنا الخير))، وبالغ في تكريمهِ وتعظيمهِ حتى انصرف عنه، ومنها تقريضه (عليه السلام) لعمر: كاتبَ عمر يوماً للإمام الباقر (عليه السلام) يختبرهُ فأجابه بكلام فيه وعظ وتحذير وكان عمر يعلم أن للإمام كتاباً لسليمان بن عبد الملك فأمر بإخراجه وإذا فيه مدحاً وتقريضاً فأراد من عامل المدينة محمد بن عمر بن حزم أن يستفهم من الإمام عن الكاتبين، فأجاب الإمام الباقر(عليه السلام): ((إنَّ سليمان كان جبّاراً فكتبت إليه ما

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٢.

يكتبُ الى الجبارين وإنَّ صاحبك (يقصد عمر) أظهر أمراً فكتبتُ إليه بما شاكله))، فكتب عامله إليه بذلك فقال عمر :(إن أهل البيت هذا لا يُخيلهم الله من فضل)[1].

**مظاهر الإنحراف في عصر الإمام الباقر (ع):**

ظهر الإنحراف في جميع مجالات الحياة، وترك تأثيره السلبي على جميع مقومات الشخصية المسلمة في الفكر والعاطفة والسلوك والتغلغل في ميدان الحياة الاجتماعية وتحوّل الاسلام الى طقوس ميتة لا تمت الى الواقع بصلة، ويمكننا توضيح ذلك في:-

**أولاً / الانحراف الفكري والعقائدي:**

إزداد الانحراف في الافكار والعقائد بشكلٍ واضح وكبير وشجّع بني أمية على ذلك لأنه كان يخدم مصالحهم ويشغل المسلمين عن التفكير في محاولة تغيير الاوضاع أو تحسينها، فكثرت الانحرافات الفكرية والعقائدية وتعاظمت وأصبح لها أتباع وأنصار وتحولت الى تيارات خالف الكثير منها الأُسس الواضحة للعقيدة الاسلامية فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والإرجاء كما انتشرت أفكار التجسيم وتشبيه الله تعالى بمخلوقاته، و كَثُرت الشبهات حول ماهية الله تعالى وذاته، وتنوعت تيارات الغلو فزعموا الحلول للذات الإلهية في قوم من الصالحين، وقالوا بالتناسخ وانتشرت الزندقة فجحدوا البعث والنشور، واختُلِقَت كثير من الأحاديث والورايات والفضائل لدعم التسلّط الأموي وطرحت نظرية عدالة الصحابة بقوة وفي نفس الوقت منعوا نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) وانتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأي، وراح القياس في الاحكام والتفسير بالرأي لآيات القرآن، كما انتشرت أفكار التصوف والاعتزال عن الحياة، وفصل الدين عن السياسة وكان للحكّام دور كبير في خلق المذاهب المنحرفة والتشجيع عليها وخاصةً تلك التي كانت تحمل شعار الانتساب لأهل البيت(عليهم السلام) كالكيسانية لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت(عليهم السلام)[2].

**ثانياً / الإنحراف السياسي:**

حوّلت السياسة الاموية الخلافة الى مُلك يتوارثهُ الأبناء، وتوزيع المناصب المهمة في الدولة على أبنائهم وأقاربهم والمتملقين لهم، وأستبدوا بالأمر فلا شورى ولا إستشارة إلا مع المنحرفين والفُسّاق، فحينما وجد الوليد بن عبد الملك أن ولاية عمر بن عبد العزيز على مكة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص١١٠.

(٢) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٢٨.

والمدينة قد أصبحت ملجأ للهاربين من ظلم الولاة الأمويين قام بعزله تنكيلاً منه بالمعارضين وإرهابهم[1].

وكان سليمان بن عبد الملك مُحاطاً بثلّة من الرجال عُرفوابفسقهم وإنحرافهم وسوء سيرتهم كما وصفهم أعرابي عندهُ بقوله: (فإنهم لم يأتوا إلا ما فيه تضييع وللأمة خسف وعسف، وأنت مسؤول عمّا أجترموا وليسوا مسؤولين عمّا أجترمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك).

وسياسة عبد الملك التي اوضحها بوصيته للوليد تبيّن بدقّة ما كانت عليه سياستهم مع الرعية، فقال:(أدعُ الناس الى البيعة فمن قال برأسهِ هكذا فقُل بسيفك هكذا).

وأقرّ كثير من الفقهاء هذه السياسة خوفاً أو طمعاً أو استسلاماً للأمر الواقع فقد أقرّوا بدعة تولية الحكم بالعهد الى إثنين أو أكثر حتى أصبحت نظرية من نظريات تولّي الحكم.

وأمتازت هذه المرحلة التي عاشها الإمام الباقر(عليه السلام) بسرعة تبدّل الحكام وقصر المدة التي حكومها وكان الحاكم ينشغل بالجهاز على ولاة من سبقه وكثُرت الاختلافات داخل البيت الاموي تنافساً على الحكم، كما كثرت الفتن الداخلية في عهدهم حتى قام بعض الولاة في خلع الحاكم واستقلال ولايتهِ كما فعل قتيبة بن مسلم بخلع سليمان بن عبد الملك والاستقلال بخُراسان، وكما فعل يزيد بن المُهلّب بخلع يزيد بن عبد الملك سنة(١٠١) هجري الذي قام بقتله ومطاردة اتباعه وقتلهم[2].

وفي عهد هشام بن عبد الملك إزداد الإرهاب والتنكيل بأهل البيت وشيعتهم وسائر المعارضين حتى سُجنَ هشام الإمام الباقر(عليه السلام) وأقدمَ على اغتيالهِ.

والتجأ الكثير للعمل السري للإطاحة بالحكم الأموي، فكان العباسيون يعدّون العدّة ويبثون دعاتهم في الأقاليم وخصوصاً خُراسان، كما اخذ زيد بن علي يعدُّ العدّة للثورة على الأمويين في وقتها المناسب [3].

**ثالثاً / الإنحراف الأخلاقي:**

أدى توسع عمليات الفتح والغزو غير الصحيحة الى خلق الاضطرابات في المجتمع الاسلامي، وتشتيت الأُسر بغياب المُعيل أو فقدانهُ، كما كثُرت الجواري والعبيد التي ساعدت على الانحراف في البلاط الأموي الذي أنتقل الى الأمة ، وأنشغلوا باللهو والغناء دون حدود أو قيود وخصوصاً في زمن الوليد بن عبد الملك بشكلٍ خاص.

---

(١) عبد الأمير دكسن ، الخلافة الاموية ، ص٩٨.

(٢) عبد الأمير دكسن ، الخلافة الاموية ، ص٩٩.

(٣) الطوسي ، الأمالي ، ص١٦٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٢٥٧.

وأقبل يزيد بن عبد الملك على شرب الخمر واللهو ولم يَتُب من الشراب إلا اسبوعاً واحداً حتى عادت إليه بتأثير جاريتهِ حبّابة.

وهكذا وصل الإنحراف ذروته حينما اصبح اللهو والمُجون من أولى هموم حكّام الدولة، وطبيعي أن تنحرف الأمة بانحراف حكامها وولاتها وأجهزة دولتها لأن الناس على دين ملوكها وبذلك ابتعدت غالبية الناس من الأهداف الكُبرى التي حددها المنهج الاسلامي[1].

**رابعاً / الإنحراف في الميدان الاقتصادي:**

لقد تصرّف الحكام بالأموال العامة وكأنها مُلك شخصي لهم فكانوا ينفقونها على ملذاتهم وشهواتهم وعلى الجواري والمُغنين، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم والضمائر ويمنحوها لمن يساهم في تثبيت سلطانهم أو مدحهم، وعلى الشعراء المتزلفين بصفة خاصة.

وكان حكّام بين أمية يعيشون في أعلى مراتب الترف والبذخ ويبذرون أموال المسلمين على لهوهم وشهوتهم والمقربين لهم في وقت كان كثير من الناس يعيشون حياة الفقر والجوع والحرمان[2].

وبتعطيل مبدأ التكافُل الاجتماعي إزداد التميّز الطبقي فازدادت معاناة الناس وهمومهم ولم تكترث الدولة لذلك ولم تحثُّ على الانفاق بل ضاعفت من الضرائب وأضافوا ضرائب جديدة أثقلت كاهل الكسبة والصنّاع وأصحاب الحرف وخصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك.

وهكذا إنساق الناس وخصوصاً اتباع الامويين وراء شهواتهم ورغباتهم، وأنشغل الكثير منهم في السعي للحصول على الأموال بأي وجه أمكن[3].

أما دور الإمام الباقر (عليه السلام) فقد كان دوراً إصلاحياً لإعادة الحاكم وأجهزته وإعادة الأمة برمتها الى الاستقامة في العقيدة والشريعة وكان أسلوب الإمام (عليه السلام) الإصلاحي متفاوتاً تبعاً لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به، فلقد كان الإمام (عليه السلام) مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي وكان يقصدونه كبار رجالات الفقه الاسلامي مثل سفيان الثوري وأبو حنيفة وسفيان بن عُيينة[4].

وتمثل دور الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في هذه الفترة باتجاهين متزامنين لينقذ الأمة الاسلامية مما هي عليه ويؤدي دوره القيادي فيها وهما:

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٢٥٧.

(٢) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٢١١.

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٢.

(٤) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص٩ .

**الاتجاه الأول: الحركة الإصلاحية العامة:**

وتمثلت في التحرك بين أوساط الأمة وعموم الناس بما فيهم المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى، فضلاً عن التحرّك على الحكّام وأجهزتهم لإعادتهم الى خط الإستقامة والحد من انحرافاتهم.

**الاتجاه الثاني: بناء الجماعة الصالحة:**

لتقوم بدورها في إصلاح الأوضاع العامة للأمة والدولة طبقاً للأسس والقواعد الثابتة التي أرسى دعائمها أهل البيت(عليهم السلام). وعلينا أن نبيّن هذين الاتجاهين بشيء من التفصيل.

**الحركة الاصلاحية العامة: أما أهم محاورها فهي:**

**أولاً: الإصلاح الفكري والعقائدي:**

لم تتجل حقيقة التصور الاسلامي عند الكثير من المسلمين لكثرة التيارات الهدّامة ونشاطها في تحريف المفاهيم السليمة وتزييف الحقائق، فكان دور الإمام الباقر(عليه السلام) هو حمل النفوس على التمحيص لتمييز الأصيل من العقيدة من المُزيف ولقد مارس الإمام عدّة نشاطات لإصلاح الأفكار والعقائد أهمها:

**١. الرّد على الافكار الهدّامة والمذاهب المنحرفة:**

نشطت (حركة الغلاة) بقيادة المُغيرة بن سعيد العجلي الذي كان مشعوذاً فدعا الناس الى آرائه وستغواهم فأتبعه خلق كثير، فعمل الآمام (عليه السلام) على محاصرته والتحذير منه ولعنه أمام الناس بقوله: ((لعن الله المُغيرة بن سعيد كان يكذّب علينا))[١].

وكان يحذّر المسلمين وخصوصاً انصار أهل البيت من أفكار الغلو بقولهِ:(لا تضعوا علياً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعهُ الله))، وحذّر(عليه السلام) المرجئة ولعنهم حين قال: ((اللهم العن المرجئة فإنهم اعداؤنا في الدنيا والآخرة))، وكان يحذّر من أفكار المفوضة والمُجبرة وقال في ذلك: ((إياك أن تقول بالتفويض! فإنَّ الله عزَّ وجل لم يفوض الأمر الى خلقه وهناً وضعفاً ، ولا أجبرهم على معاصيهِ ظلماً))[٢].

وركّز الإمام الباقر (عليه السلام) على العبودية الخالصة لله ونهى عن الممارسات التي تتضمن الشرك بالله تعالى فقال:((لو أن عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله عزَّ وجل والدار الآخرة، فأدخل فيه رضى أحد من الناس كان مُشركاً)).

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٢١١.

(٢) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٩٩.

وركّز (عليه السلام) الردع من إتباع المذاهب المنحرفة والأفكار الهدّامة هو بيان عاقبة أحد الشبهات والأهواء والبدع وإبعاد المسمين عن التأثير بهم وإزالة حالة الأُنس والألفة بينهم.

**٢. الحوار مع المذاهب والرموز المنحرفة:**

إنَّ المناظرة الهادفة والحوار السليم تُزعزع الأفكار والمفاهيم المنحرفة ولقد قام الإمام (عليه السلام) بمحاورة رؤوس المخالفين لتأثيرهم الكبير على اتباعهم. فلقد ناظر علماء النصارى في دمشق أيام هشام بن عبد الملك وحتى أسلم البعض منهم وأسلم معه أصحابه على يد الإمام (عليه السلام)، وناظر هشام نفسهُ في مسائل متنوعة تتعلق بمقامات أهل البيت فلم يستطيع هشام أن يردَّ عليه.

كما ناظر الحسن البصري ووضح له بطلان القول بالتفويض وحذّرهُ قائلاً:((وإياك أن تقول بالتفويض، فإنَّ الله عزَّ وجل لو يفوّض الأمر إلا خلقهِ وهناً...)).

ولهُ مناظرات عديدة مع محمد بن المنكدر أحد مشاهير زُهّاد عصره، ونافع أبن الأزرق أحد رؤساء الخوارج وعبد الله بن معمر الليثي، وقتادة بن دعامة البصري وغيرهم.

**٣. إدانة فقهاء البلاط:**

ولقد ناظر الإمام الباقر(عليه السلام) العديد من علماء الجمهور الذين يُعدّون من فقهاء البلاط الاموي أمثال قتادة البصري الذي تصاغر كثيراً أمامه حتى قال:(أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام أبن عباس فما أضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما أضطرب قدّامك).

وأدان الإمام (عليه السلام) أبا حنيفة لقولهِ بالقياس، وهكذا يتبيّن إمامه الإمام الباقر (عليه السلام) للعلماء فهو يحاسبهم وكأنه رئيسهم ليحملهم على الجادة وهم يقبلون طائعين تلك المحاسبة والرئاسة[١].

**٤. الدعوة الى اخذ الفكر من مصادرهِ النقية:**

لقد دعا الامام الباقر (عليه السلام) الناس الى أخذ العلم والفكر من منابعه النقية وهم أهل البيت المعصومون (عليهم السلام) من كلّ زيغ وانحراف، فقال لسلمة بن كُهيل وللحكَمْ بن عُتيبة: ((شرقاً وغرباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا))، كما شجّع على نشر وذكر مقامات أهل البيت وفضائلهم لأنها من أسباب نشر الحق والفضيلة[٢].

**٥. نشر علوم أهل البيت(عليهم السلام):**

---

(١) الشيخ المفيد ، اوائل المقالات ، ص١٢.

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص١٨٩.

لقد فتح الإمام(عليه السلام) أبواب مدرستهِ العلمية لعامة أبناء الأُمة الإسلامية حتى وفد إليها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم، وأخذ منه عدد كبير من علماء المسلمين بمختلف اتجاهاتهم وميولهم أمثال: عطاء بن أبي رياح، وعمرو بن دينار، والزهري، وربيعة الرأي ، وأبن جريح، والأوزاعي، وبسّام الصيرفي وغيرهم.

حتى قيل:((ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنهُ متعلّم)) [1].

## ثانياً: تأسيس المدرسة الفقهية النموذجية:

لقد جهد الإمامان الباقر والصادق (عليهما السلام) على نشر الفقه الإسلامي بصورة إيجابية في وقت كان المجتمع الإسلامي غارقاً في الاحداث والاضطرابات السياسية بعدما أهملت الحكومات الشؤون الدينية إهمالاً تاماً، فأهل البلاد الاسلامية لم يعرفوا شؤون دينهم معرفة كافية حتى أن بعضهم في بلاد الشام لا يعرف عدد الصلوات المفروضة فراحوا يسألون الصحابة عن ذلك[2].

لذا برز الدور الذي قاما به الإمامان (عليهما السلام) وكان من أعظم الخدمات التي قدّماها للعالم الاسلامي، حتى أن أبناء الصحابة والتابعون سعوا للأخذ من علومها وكذا رؤساء المذاهب الإسلامية كأبي حنيفة النعمان بن ثابت ومالك أبن أنس وجمهرة من الفقهاء كزرارة بن أعين، وحمد بن مسلم، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب الذين أصبحوا من مراجع الفتيا بين المسلمين، فأعادوا للإسلام نضارتهِ وحافظوا على ثرواتهِ الدينية من الضياع والضمور ومن الجدير بالذكر إنَّ الشيعة هم أول من سبق الى تدوين الفقه[3].

ولقد امتازت هذه المدرسة الفقهية بمجموعة من المميزات هي:-

١. الاتصال بالنبي محمد (ص) :- ففقه أهل البيت(عليهم السلام) يتصل اتصالاً مباشراً بالنبي.

٢. المرونة: حيث فقه أهل البيت يساير الحياة ويواكب التطور ويتلائم مع جميع متطلبات الحياة.

٣. فتح باب الاجتهاد: وقد دلَّ ذلك على حيوية فقه أهل البيت(عليه السلام) وتفاعلهِ مع الحياة واستمرارهِ في العطاء بجميع شؤون الإنسان.

---

(١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٥٩.

(٢) الاميني ، وسائل الشيعة ، ج٨، ص٨٨.

(٣) جعفر السبحاني ، السيرة المحمدية ، ص١٩٨.

٤. الرجوع الى حكم العقل: لقد أصبح العقل واحداً من المصادر الأربعة لإستنباط الأحكام الشرعية وأضفوا عليه أسمى ألوان التقديس، وللعقل مسرحاً كبيراً في علم الأصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد.

## ثالثاً: الإصلاح السياسي:

أستغل الإمام (عليه السلام) بعض الانفراج السياسي الذي شهده عصرهُ من أجل بناء وتوسيع القاعدة الشعبية وتسليحها بالفكر السياسي السليم المنسجم مع رؤية أهل البيت(عليهم السلام) لهذا لم تنطلق أي ثورة علوية في عهده لعدم إكتمال شروطها من حيث العدة والعدد، وكان للإمام بعض المواقف السياسية الصريحة من بعض الحكّام لإعادتهم الى جادّة الصواب، ولقد تجلّى دوره الإصلاحي في الممارسات التالية:

١. الدعوة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وبهما يتحرر الإنسان والمجتمع من ألوان الانحراف والعاطفة والسلوك، ولقد جاءت تاكيدات الإمام على هذه الفرضية التي جعلها شاملة لجميع الحياة الإنسانية كما وحذّر من مغبّة التخلي عن المسؤولية ومداهنة المنحرفين حكاماً كانوا أم أفراد وقال: ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عزَّ وجل، فمن نصرهما أعزّهُ الله، ومن خذلهما خذله الله عزَّ وجل.))[١]

٢. نشر المفاهيم السياسية السليمة:

عندما وجّه الإمام(عليه السلام) الأنظار الى دور أهل البيت (عليهم السلام) في قيادة هذه الأمة من الابتعاد عن نهجهم وحثَّ على تصرفهم ووضوح حدود الموالاة لهم. وأكّد على أن طرق تولي الإمام لمنصب الإمامة منحصر بالنص والوصية ولا عبرة لما هو شائع من البيعة والعهد والغلبة وبين مواصفات الإمام لكي تتمكن الأمة من التمييز والتشخيص في خضّم الأحداث والمفاهيم المنحرفة فقال(عليه السلام):((إنَّ الإمام لا تصلح إلا لرجلٍ فيه ثلاث خصال((ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحُسن الخلافة على من ولي، حتى يكون له كالوالد الرحيم))[٢].

كما بين المفهوم الحقيقي للتشيّع لكي لايعطي مُبرراً للحكام الامويين لتشويه سمعة أنصار أهل البيت، واستغلال بعض السلبيات للطعن في مفاهيم الولاء والتولي فقال(عليه السلام):

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١، ص٢٠١.

(٢) الطبرسي ، أعلام الورى ، ص٤٥.

((فو الله ما شيعتنا إلا من أتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع ، والتخشّع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم ، والصلاة، والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران.... وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء))[1].

إذن فالتشيُّع ليس إدّعاء بل هو ممارسة علمية محسوسة في الواقع، والشيعي هو مثال التديّن والإخلاص والطاعة لله.[2]

٣. **فضح الواقع الاموي:**

كشف الإمام (عليه السلام) حقيقة الحكم الاموي، وكيفية وصوله الى الحكم، ووضح الجرائم التي ارتكبها سلف هؤلاء الحكام في حق أهل البيت وانصارهم، فقال الإمام الباقر(عليه السلام) :((فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهِبَ مالهُ، أو هُدِّمت دارهُ، ثم لم يزل البلاء يشتدُّ ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين(عليه السلام)، ثمَّ جاء الحَجّاج فقتلهم كل قتله وأخذهم بكل ظن وتهمة حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبُّ إليه من أن يُقال: شيعة علي...))[3].

٤. **الدعوة الى مقاطعة الحكم القائم:**

دعا الإمام (عليه السلام) الى مقاطعة الحكم الجائر ونهى عن إسناده بأي شكل من أشكال المساندة، ووضح أساسيات التعامل مع الحكّام الجائرين وأكّد على أن تكون العلاقة معهم علاقة التوجيه والإرشاد والقيام باداء مسؤولية الوعظ، وأستثنى من ذلك المواقف التي تتخذ من أجل مصلحة الاسلام الكبرى، فجوّز إسنادهم بالسلاح إذا كان القتال مع أعداء الاسلام.

٥. **مواقفه المباشرة مع الحكام المنحرفين:**

بما أن الإمام هو القدوة ومن أهم واجباته إصلاح الحاكم والأمة معاً، فقد اختلفت مواقفه (عليه السلام) في هذا الدور تبعاً للعوامل والظروف السياسية المحيطة به، من حيث المصلحة الاسلامية العامة أو المصلحة الخاصة ومن حيث قوة الحاكم وقوة القاعدة الشعبية لأهل البيت، ولقد كانت التقية أسلوباً يتخذه الإمام في مواقفه من الحاكم الجائر عندما لا تكون المواجهة العلنية مفيدة ومثمرة وأوضح حدودها بقوله: (( التقية في كلّ ضرورة))، واختلف دوره التوجيهي في زمن عمر بن عبد العزيز حيث الحرية النسبية فقام في إصلاح وتوجيه الحاكم واجهزته وحثّه على

---

(١)الطبرسي ، أعلام الورى ، ص٤٥-٤٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٦-٤٧.

(٣) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص١٧٣.

الاستقامة في التعامل مع الرعية أما في عهد هشام بن عبد الملك فقد كان يتحرّك تبعاً لمواقف هشام من حيث اللين والشدّة.[1]

٦. **موقفه من الثورة المسلحة:**

وقف الإمام(عليه السلام) موقف الحياد من الثورات التي قادها الخوارج فلم يصدر منه تأييد ولا معارضة لكي لا يستثمر قادة هذه الثورات أو الحكام موقف الإمام لصالحهم ولكي تستمر روح الثورة في النفوس، ولم تنطلق أي ثورة علوية في عهده ولا لأحدٍ من أنصارهم لأن الإمام(عليه السلام) كان مشغولاً ببناء وتوسعة القاعدة الشعبية في الوقت نفسه كان يوجه الأنظار الى ثورة أخيه زيد التي أخبر أنها ستنطلق في المستقبل القريب، وكان هو(عليه السلام) الموّجه لحركة أخيه زيد، وتفجرت ثورة زيد بعد أقل من عشر سنين من استشعاد الإمام الباقر(عليه السلام)[2].

**رابعاً / الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي:**

بذل الامام محمد الباقر(عليه السلام) عناية فائقة لإصلاح الأخلاق وتغيير الاوضاع الاجتماعية باتجاه القواعد والموازين والقيم العُليا في الشريعة الاسلامية، وكانت مهمته إصلاح الجميع بدءاً بالمقربين منه ثم الاوساط الاجتماعية ثم المؤسسات الحكومية واتباع الحاكم لهذا تعددت أساليبه الإصلاحية والتغييرية في المجالين الاخلاقي والاجتماعي، أما أبرز نشاطاته في هذا المجال:-

١. **الدعوة لتطبيق السنّة النبوية:**

قام الإمام(عليه السلام) بنشر الأحاديث النبوية المرتبطة بالجوانب الاخلاقية والاجتماعية لكي تكون نبراساً لأفراد المجتمع بمختلف طبقاته وتنطلق بهم نحو السمو والتكامل وكان يؤكد الامام(عليه السلام) على صلاح الفقهاء والأُمراء لأنهما الركيزة الأساسية في صلاح الأخلاق والأوضاع الاجتماعية فقد روى(عليه السلام) قول جدّه محمد (ص):((صنفان من أُمتي إذا صلحا صلُحَت أمتي وإذا فسدا فسدت أُمتي، الفقهاء والأُمراء))[3].

وأكد على دعوة جدّه محمد (ص) الى العفّة وتعجيل الخير بقوله:((إنَّ الله يحب الحيَّ الحليم العفيف المتعفف)) و ((إنَّ الله يحبُّ من الخير ما يعجّل)) كما أكّد على الأحاديث الداعية الى حُسن الخلق والكف من أعراض المؤمنين، ودعا الى إدخال السرور على المؤمن وحثَّ على حُسن الخلق وحثَّ على صلة الرحم بقولهمحمد (ص):((أن إعمل الخير ثواباً صلة الرحم))

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص١٧٤.

(٢) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٢٦.

(٣) الطبرسي ، أعلام الورى ، ص٤٨-٤٩.

وذكر (عليه السلام) عشرات الأحاديث الشريفة التي تدعو الى مكارم الأخلاق في الصدق والإيثار والتعاون والوفاء بالعهد وغيرها إضافةً الى أحاديث النهي عن الممارسات السلبية كالكذب والبُهتان والغيبة والخيانة ونقض العهد وغيرها[1].

وكان الامام الباقر (عليه السلام) يقوم باداء القدوة في ذلك بنفسه في جميع المكارم والمأثر فكان في سلوكهِ نموذجاً من أرقى نماذج الخلق الاسلامي الرفيع، فكانت معالجته للواقع معالجة عملية من خلال سلوكه النموذجي مع مختلف أصناف الناس موالين أو مخالفين.

**٢. الدعوة الى مكارم الأخلاق:**

إنَّ مكارم الأخلاق هي العلامة الفارقة للتعامل بين المسلمين، فكان(عليه السلام) يدعو الى إفشاء السلام وهو مظهر من مظاهر روح الإخاء والود في العلاقات الاجتماعي، ودعا الى العفّة أعتبرها افضل العبادة والى تطهير اللسان وتقيّدهُ بقيود شرعية لإدامة العلاقات بين الناس وأعطى قاعدة مهمة في كيفية التعامل مع مختلف طبقات المجتمع بقوله: ((صانع المنافق بلسانك، وأخلص مودتك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته))[2].

كما دعا الارتباط بأهل التقوى وتعميق أواصر العلاقات معهم، ووضّح بعض حقوق المؤمن على المؤمن وهي كثيرة ومنها:((إن المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء الظن))[3].

وحذّر من ظلم الآخرين أو الإعانة على ظلمهم ودعا الى مقابلة الإساءة والقطيعة وبالإحسان والصلة فقال (عليه السلام): ((ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جُهِلَ عليك)).

## خامساً / الإصلاح الاقتصادي:

بما إنَّ الإمام (عليه السلام) كان بعيداً عن السلطة حتى يستطيع إصلاح الأوضاع الاقتصادية إصلاحاً جذرياً، لذا أقتصر على نشر المفاهيم الاسلامية المرتبطة بالحياة الاقتصادية السليمة والتي تعصم مراعاتها الإنسان والمجتمع من الانحراف الاقتصادي ومن إشباع الشهوات، فحدد الاهداف المتوخاة من التصرّف بالأموال التي جعلها الله سبحانه وتعالى الوسيلة لتحقيق الهدف الذي خُلِقَ الإنسان من أجلهِ وهو الوصول الى عبادة الله وتطبيق منهجه في الحياة فقال

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٠١١.
(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٧٣.
(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٣٩.

(عليه السلام): ((نِعمَ العون في الدنيا على طلب الآخرة)) وقال أيضاً: ((من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس وتوسعاً على أهلهِ وتعطفاً على جارهِ لقي الله عزَّ وجل يوم القيامة ووجههُ مثل القمر ليلة البدر ))[1].

وأكّدَ على حرمة جملة من التصرفات المالية كالتطفيف في المكيال ودعا الى استصلاح المال وتنمية الثروة بشكل صحيح، وقدّم إشباع حاجات المسلمين وسد ثغرات حياتهم على أهم العبادات المستحبة وهو الحج تطوعاً، ودعا الى الترفّع عن الحرص والطمع ووجه الأنظار الى الآثار السلبية التي يخلفها الطمع كما حثَّ على القناعة لأنها إحدى مقدمات السعادة الروحية، ودعا الى مراعاة القصد والوسطية وتجنّب الإفراط والتفريط في الصرف والانفاق في مختلف الظروف وأعتبره من المنجيات فقال(عليه السلام):((أما المنجيات فخوف الله في السر والعلانية، و القصد في الغنى و الفقر ))[2].

ومن أجل تحقيق التوازن الاقتصادي ورفع المستوى المعاشي لعموم الناس دعا الإمام الباقر(عليه السلام) الالتزام بالانفاق الواجب((إنَّ الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة... فمن أقام الصلاة ولم يؤتَ الزكاة فكإنَّه لم يقم الصلاة))، وبين الآثار السلبية لمنع الزكاة فقال:((وجدنا في كتاب علي(عليه السلام) قال رسول الله محمد (ص): إذا منعت الزكاة منعت الارض بركاتها))، وحدد حدود البذل بأنه الايصال الى مرتبة إغناء الفقير لإنقاذه من الفقر وآثاره السلبية والنفسية بقولهِ (عليه السلام):((إذا أعطيتهُ فأغنهِ))[3].

ولا يتحقق التوازن الاقتصادي ولا التكافل الاقتصادي إلا بإشتراك جميع الناس في ممارسات مكثفة لرفع المستوى الاقتصادي لجميع الفقراء والمعوزين.

وكان (عليه السلام) يقوم بإنفاق ما يحصل عليه على الفقراء والمعوزين لتقتدي به الأمة وتعرف انحراف الممارسات المالية التي كان يقوم بها الحكّام الأمويين وولاتهم والمخالفة للأسس الاسلامية والقواعد الثابتة للإنفاق.

وجاء الحديث عن بناء الجماعة الصالحة التي أهتمَّ بها الإمام(عليه السلام) بل وسعى إليها الأئمة جميعاً، ورسم المعالم والملامح اللازمة لها لتكون الطليعة الواعية المخلصة لتبني مسؤولية الإصلاح والتغيير.

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص٣٠١.

(٢) المصدر نفسه ، ج٢١ ، ص٣٠٣.

(٣) الطبرسي ، اعلام الورى ، ص٤٩.

## بناء الجماعة الصالحة (الطليعة المؤمنة):

إنَّ إصلاح الأوضاع الاجتماعية يتوقف على وجود الجماعة الصالحة التي تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا سعى الائمة المعصومين الى بناء الجماعة الصالحة ورسم المعالم اللازمة لها لتكون الطليعة الواعية والمؤمنة لتبني مسؤولية الاصلاح والتغيير طبقاً لمنهج أهل البيت (عليهم السلام)[1].

وكان للجماعة الصالحة دور كبير في قيادة الثورات ضد الحكم الاموي على طول الخط كثورة أهل المدينة وثورة المُختار وثورة التوابين، وكان لمجموعها دور كبير في إرساء دعائم منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتعميقه وتجذيرهُ في العقول والقلوب والممارسات السلوكية.

وسار الإمام محمد باقر(عليه السلام) في نفس الخطوات والطريق الذي سلكه آباءه الكرام في إعداد هذه النخبة الخيّرة والطليعة المؤمنة وأستمرَّ في تشييد هذا الصرح ورفدهُ بعناصر جديدة لتستمر الحركة الاصلاحية على منهج أهل البيت(عليهم السلام) وتقريره في واقع الحياة فقد ربّى مجموعة كبيرة من الفقهاء المُصلحين ومن طبقات شتّى تنوعت مهامهم وتوزعت أدوارهم فمنهم الفقهاء ومنهم قادة الثورات ومنهم المصلحون الذين كانوا يجوبون الأمصار لنشر وتعميق منهج أهل البيت (عليهم السلام).

ولقد كانت المهمة الأساسية للإمام الباقر (عليه السلام) بعد العقود الثلاث من النشاط المستمر لأبيه الامام زين العابدين(عليه السلام) هي رسم المعالم التفضيلية للجماعة الصالحة وبيان كل ما يلزم لتكوين المجتمع الاسلامي النموذجي.

وكان من أبرز مقومات نجاح مسيرة الطليعة المؤمنة وجود قيادة تقوم بالإشراف على حركتها وتتبنى التغيّر الشامل وتقوم بتنسيق البرامج والخطط وتمدّها بالقوة الورحية والشحنة المعنوية على أن تكون هذه القيادة ربانية نصَّ عليها الله تعالى وأبلغها لرسوله محمد (ص) الذي أبلغها بدورهِ لأمير المؤمنين (عليه السلام) وتتدرج الوصية حتى وصلت الى الامام الباقر(عليه السلام) ومنه تصل الى خاتم الأوصياء والائمة(عجّل الله تعالى فرجه)[2].

ولقد اولى الامام الباقر (عليه السلام) الامام من بعده أهمية خاصة ووجّه أنظار أصحابهِ والطليعة المؤمنة خاصة إليها بشرطها وشروطها وخصائصها، فأعلن عنها تارة إعلاناً جلياً وآخر خفياً وكان الإعلان عن إمامة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) مصحوباً بالسرية وفي نطق محدود لم يخبر بها إلا أصحابهُ المُخلصين المُقربين له وحينما سُئِل الامام الباقر (عليه السلام)

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص٧٨.

(٢) الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ص٥٨.

عن القائم من بعده بيده على أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام)، وعن فضيل بن يسار أحد أبرز وجوه النخبة قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) إذ أقبل أبو عبد الله فقال: ((هذا خير البرية بعدي)).

وأدخل الامام الباقر (عليه السلام) الأمل في قلوب أصحابه واتباعه وجميع أفراد الجماعة الصالحة فأخبرهم بقرب زوال حكم بني أُمية. وبالفعل بعد استشهاد الامام (عليه السلام) بثمانية عشر عاماً سقطت الدولة الاموية وانتهى حكم الامويين على يد بني العبّاس[1].

## خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هجري / ٧٢٠-٧٢٤م)

وليَ يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة(١٠١) هجري، وأقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبد العزيز فشقّ ذلك على بني أمية فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا بأنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فعدلَ عن سياسة عمر وساس بالناس سياسة عتقّ وجبروت وعمد الى عزلَ جميع ولاة عمر وكتب في ذلك الى عمّاله:((أما بعد فإنَّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً، فدَعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى ، اخصبوا أم أجدبوا ، أحبّوا أم كرهوا، حيّوا أم ماتوا))، وعاد الظلم على الناس بأبشع صورة وألوانه وأنتشر الجَور وعمَّ الطُغيان جميع انحاء البلاد[2].

لقد كان يزيد بن عبد الملك جاهلاً حقوداً على أهل العلم، حتى أنه كان يحتقر العلماء ويسمي الحسن البصري بالشيخ الجاهل.

وفي أيامه أعلن (شوذب الخارجي) الحرب على الامويين وهزمهم في عدّة وقعات حتى أرسل إليه مسلمة بن عبد الملك الذي ولاّه الكوفة فدارت مع شوذب عدّة معارك ودارت الدائرة عليه ومن معه من الخوارج ولم يفلت منهم إلا القليل[3].

وخرج يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة بعدما فرَّ من سجن عمر بن عبد العزيز وسار الى البصرة وأسّر واليها، وثم واصل السير الى الكوفة فانضمّ إليه الأزد فعظُمَ أمره واشتدّتِ شوكتهُ فبعث إليه أخاهُ مسلمة بن عبد الملك وأبن أخيه العباس بن الوليد في جيش عظيم، ولمّا ألتقى الجيشان أقتتلوا قتالاً شديداً فهرب أصحاب يزيد وتخلّوا عنه فقُتِلَ في المعركة وذلك في سنة

---

(١) طه الربيعي ، روح البداية لمسيرة ألانتماء الى الثورة المحمدية ، ص٢١١.

(٢) أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص٢١٥.

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢١٦.

(١٠٢) هجري في الثاني عشر من شهر صفر. وهلك هذا الطاغية سنة (١٠٥) هجري ، فتولى المُلك بعدهُ هشام بن عبد الملك[١].

**خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هجري / ٧٢٤-٧٤٣):**

ولي هشام الخلافة في شهر شعبان سنة (١٠٥) هجري، وبقي فيها الى أن توفي بالرصافة من أرض قنسرين في شهر ربيع الآخر سنة (١٢٥) هجري بعد أن مكث في الخلافة تسع عشر سنة وسبعة أشهر وأياماً.

كان أحول شرس الطباع لئيماً موصوفاً بالحرص والبخل، ومن مظاهر بخلهِ أنه كان يقول: (ضع الدرهم على الدرهم يكوّن مالاً)، وقد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله، وقال: (ما ندمتُ على شيء ندامتي على ما أُحب، وإنَّ الخلافة تحتاج الى الأموال كاحتياج المريض الى الدواء)[٢].

ودخل الى بستان له فيها فاكهة وجعل أصحابه يأكلون من ثمرها، فأوعز الى غلامهِ بقلع الأشجار وزراعة الزيتون لئلا يأكل منه أحد، وإجمالاً لم يمر على الرعيّة أشدُّ إيلاماً وصعوبة من أيام حكم هشام بن عبد الملك وكان ذا تدبير وسياسة وقد قيل: ثلاثة من بني أُمية كانوا في الأمور السياسية عديمي النظير: أولهم معاوية وثانيهم عبد الملك وثالثهم هشام بن عبد الملك.

ومن إصلاحاته اهتمامه بتعمير الارض وتقوية الثغور وحفر القنوات والبرك في طريق مكة، ومن اعماله: عزل اخاهُ مسلمة عن العراق وولاها خالد بن عبد الله القسري فتولى هذا أخاه أسد على خراسان سنة (١٠٧) هجري، وفي نفس السنة ولىّ هشام أخاه مسلمة على أذربيجان وأرمينية وولي على أفريقية عبيد بن عبد الرحمن القيسي[٣].

**العباسيون في خراسان وبداية الدعوة العباسية:**

في سنة (١١١) هجري بدأ سليمان بن كثير الخزاعي واصحابهِ بخراسان يدعون الى(بني هاشم) بدل (بني أمية) وكثر مجيبوهم فأرسل محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إليهم مولاه بُكير بن ماهان، فدعاهم الى خلع بني امية فأجابوه وكثُر أصحابهُ ومنهم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلاّل(بياع الخلّ) وارتضاه أبن ماهان لاستخلافه بعده بعد موافقة محمد بن علي، فكتبَ

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١١٥.

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣ ، ص١١٥.

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١١١.